العبقـــــرية (*)

ليست العبقرية ملكة بسيطة ، بل هى فى الحقيقة مجموعة قوى أو ملكات متحد بعضها ببعض . هذه القوى والملكات يمكن إرجاعها إلى ثلاث رئيسية هى :

(ا) مخيلة حية تثيرها للعمل حساسية شديدة أو عاطفة مشبوبة متقدة ...

(ب) عقل قوى مفكر ناضج ...

(ج) إرادة قوية حازمة

ونحن لا يمكننا أن نعرف الفكر الخالق إلا خلال ما يصدر عنه من أعمال ، ولا يمكن أن تنفصل العبقرية عن القوة الخالقة التى توجد بالضرورة فى الإرادة القوية[1] .

هذه العناصر السيكولوجية لازمة بالضرورة للعبقرية ، ولا بد أن توجد كلها عند كل عبقرى ، ولكنها تختلف فى واحد عنها فى آخر ، بمعنى أنها توجد بنسب متفاوتة باختلاف العباقرة وإن وجدت فيهم جميعاً ، فليس هناك عبقرى ينقصه أى عنصر منها بل تتحد كلها فيه وإن ساد عنصر من تلك العناصر على بقية العناصر الأخرى عند عبقرى معين ، وساد عنصر آخر عند عبقرى آخر وهكذا ، فهى لازمة كلها لإنتاج الأعمال العظيمة التى تحتاج إلى عبقرية خاصة ، سواء أكانت تلك الأعمال إنتاجاً فنياً أم اكتشافاً علمياً أم صناعياً أو غير ذلك .

وهناك نهاية معينة يدركها الذهن القوى الراقى ، وهى نهاية أو غاية أسمى وأعظم من أن تتصورها الأذهان الشعبية العامة غير المستنيرة أو ترقى إليها . هذه النهاية نسميها تصور أو إدراك العبقرية La conception de génie هذا التصور أو الإدراك موجود ، ولكن يجب إيجاد وسائل تحقيقه ، أى يجب أن نعرف كيف نحقق تلك النهاية أو الغاية . إن المخيلة الحية والعاطفة المشبوبة تجعلاننا نتصور تلك النهاية ونحسها ونرغب فيها بشدة ، وتقدمان لنا ما وسعهما من وسائل ، ولكنها وسائل مضطربة فى الحقيقة غير مرتبة ولا منظمة . فالمخيلة والحساسية والعاطفة لا يمكن للانسان أن يعمل بها وحدها شيئاً ذا أهمية إن لم يتدخل العقل الآمر الناهى فى الأمر فيختار الأحسن ويترك ما لا يصلح ويربط بين ما يختار ويرتبه وينظمه . فعمل العقل — فى كل شىء — هو الاختيار والترتيب والربط . ثم يجىء بعد ذلك دور الإرادة ، فإنها هى التى تتم العمل المدرك المتصور بتحقيق تلك الوسائل المرتبطة فى الذهن . والعالم ملىء بالأذهان التى لا تنقصها المخيلة ولا الانفعال ، حتى ولا ملكة الترتيب والتنظيم والربط ، ومع ذلك فهى أذهان عجدبة لا تنتج شيئاً بل تعيش هى وحدها فيما تتصور وتحلم به ؛ وقد تكون تصوراتها جميلة ، ولكنها لا تخرجها للناس ، لأنها تفتقر إلى الإرادة والصبر ، وهما عنصران هامان فى الإنتاج . وهناك عنصر أخير هو الإلهام يقدمه لنا فى الحقيقة الحساسية — طبيعية أو مكتسبة — والمخيلة ، ولذلك لا يمكن للانسان أن ينتج بالإلهام وحده شيئاً خالداً باقياً .

ولا بد للعبقرى من الصبر والمجالدة والصراع ، حتى يتوصل إلى ما يصبو إليه . وقد قال بيفون[1] Buffon إن العبقرية صبر طويل Le génie est une longue patience ، ويمكن أن نمثل لذلك بالعالم الرياضى الكبير نيوتن ، فهو — باعترافه — لم يصل إلى تلك النتائج العلمية المدهشة إلا بصبره وطول أناته وقوة إرادته . وقد سئل كيف أمكنه اكتشاف الجاذبية الأرضية ؟ فقال : بطول تفكيرى فيها دائماً . ويستلزم الصبر إرادة قوية . ووجود الإرادة كعنصر فى شىء ما يعنى وجود الحرية بالضرورة ، فلا إرادة إن لم تكن هناك حرية اختيار ، وما دامت الإرادة عنصراً فى العبقرية فإن هذا يبعدنا عن النظريات التى تجعل من الرجل العبقرى نتاجاً ضرورياً أوجدته الظروف والبيئة ، كما تنتج النبات والحيوان ، أى أنها تجعل منه شيئاً أوجدته القوى الطبيعية بالصدفة السعيدة فقط ، وتعتبره

(*) ملخصة من الفرنسية عن كتاب : H. Marion: Leçons de psychologie

(١) يتفق رأى الأستاذ مريون فى ذلك مع رأى الفيلسوف الفرنسى فيكتور كوزان الذى يرى أن العبقرية هى الذوق السامى ويدخل فى تركيبه المخيلة والعاطفة والعقل ، يضاف إلى ذلك القدرة الخالقة ، أو القدرة على الإبداع والابتكار . وقد لخصنا ذلك فى مقال «الفن» المنشور بالعدد ٤٧٦ ص ١٨ ، ١٩

(١) بيفون من أكابر العلماء الطبيعيين . ولد عام ١٧٠٧ فى مونبار Montbar على ساحل الذهب . واهتم على الخصوص بدراسة التاريخ والطبيعة وتوفى عام ١٧٨٨

غير مسئول عن أفعاله وإنتاجه إلا كما يعتبر حصان جميل مسئولاً عن جماله ، أو شجرة عالية مشذبة عن علوها وتشذيبها ، والواقع عكس ذلك تماماً ، فهناك إرادة ، وهناك بالتالي حرية

ولكن إذا كانت كل تلك العناصر تدخل في تكوين العبقرية ، أفلا يمكن أن يكون للتربية أو التعليم أثر في تكوينها كذلك ؟ إن القول بأثر التربية في تكوين العبقرية يبدو لأول وهلة غريباً وشاذاً لأن العبقرية هبة طبيعية ، ويظهر أنها أولية a priori وسابقة على كل اكتساب ، ومستقلة عن كل تربية مقصودة . والواقع أن الجانب الطبيعي في العبقرية هو الأكبر ، فالمخيلة والحساسية والعقل والإرادة كلها هبات طبيعية ، ولكن ذلك لا ينفي أن يكون للتربية أثر في هذه الملكات . فيمكن توجيه المخيلة مثلاً نحو الخير والشر بالتربية والتعليم والقراءة وغير ذلك . كذلك تنمو الحساسية وتزيد في هذه الناحية أو تلك تبعاً لما يصادفنا من الظروف والملابسات المختلفة والمشاركات الوجدانية والنفور ؛ كذلك يقوّى العقل والإرادة بالعمل والتمرين . فالتربية إذن يمكنها — أن تخلق العبقرى ! توقظ فيه جرثومة عبقرية وتساعده على الوصول إلى مبتغاه . وليس هناك — قبل كل شيء — هوة عميقة تفصل بين النبوغ والعبقرية ، وإن تعليما وتربية صحيحين وكاملين يمكنهما أن يخرجا للأمة عدداً من القيم العليا والأذهان القوية في جميع أنواع النشاط العقلي ، أكبر مما ينتج لو تركنا أمر تكوين الشخصية للصدفة أو الاتفاق فحسب . وتضطلع الأمهات بأكبر نصيب من التربية ؛ فإن أثرهن كبير جداً على أطفالهن . والمشاهد أن معظم العباقرة — إن لم يكن كلهم — كانت أمهاتهم نساء ممتازات ذوات قلوب كبيرة وحنان بالغ ووجدانات حارة توقظ في الأطفال قواهم النائمة الخامدة ، وتضيء ما أظلم من نفوسهم . وقد شبه أحد الكتاب الإنجليز فضل الأم على طفلها بفعل أشعة الشمس على الفاكهة

هناك نقطة أخيرة يجب الإشارة إليها وهي تتعلق بتشبيه بعض المفكرين العبقرية بالجنون ، وعلى رأس هؤلاء المفكرين ليلى[1] Lélut ، فقد يرى ليلى أن العبقرية ضرب من الجنون ، وحاول أن يطبق نظريته هذه على سقراط وبسكال ، فكان يرى في سقراط رجلاً معتوهاً مدعياً للوحي ؛ وأن الشيطان الذي كان يسمعه في سجنه إنما هو صوت خيالي ابتدعه الفيلسوف نفسه من عنديانه ، فليس ثمة وحي في الحقيقة أو شيطان . ولكن يمكن الرد على ليلى بأن شيطان سقراط إنما هو العناية الإلهية نفسها تخاطب نفس الفيلسوف وضميره ، ثم شخص هو هذا الصوت الباطني كي يقربه إلى أذهان تلاميذه

نعم لا شك أن بعض العناصر التي تدخل في العبقرية تدخل أيضاً في الجنون ، فالمخيلة الفياضة مثلاً إذا اعتبرت تخييلاتها وهذياتها وأحلامها حقائق واقعة كانت هي الحافة نفسها ، فهناك في الواقع صلة بين العبقرية والجنون ، وهذه الصلة ترجع إلى الدور الذي تلعبه الحساسية الشديدة التهيج والمخيلة المتقدة المشبوبة في العبقرية إذا لم يسيطر عليهما العقل . فمن السهل إذن أن تختلط معالم العبقرية بالجنون إذا غفا العقل وغفل عن القيام بمهمته في الرقابة ، ولكن من السهل أيضاً التمييز بين الجنون والعبقرية ؛ ففي الناحية الأولى تسيطر العناصر السفلى : المخيلة والإحساس ، بينما ترجع في الناحية الأخرى السيطرة إلى الملكات العليا السامية : العقل والإرادة

أحمد أبو زيد
كلية الآداب — جامعة فاروق الأول

(١) ليلى طبيب فيلسوف معاصر . كان عضواً في أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية ، وقد اشتهر بكتابه عن شيطان سقراط وبسكال ، بين فيه أن العبقرية ليست إلا نوعاً من الجنون

أديب القلوب الفنان

عزت حامد منصور

يصدر

عبقرية شاعر الروح

الأستاذ على طه المهندس

حكم في الجنحة ٤٥٦ عسكرية المنيا سنة ١٩٤٢ بتغريم احمد احمد عبد الرحمن قاش بالمنيا خمسة جنيهات لبيعه قاش بسعر أزيد من التسعيرة بجلسة ١٥ — ٤ — ٩٤٢

حكم في القضية ٣٨٩ سنة ١٩٤٢ المنيا بتغريم عبد العزيز محمد حسن خباز بالمنيا عشرة جنيهات بجلسة ١٥ — ٤ — ٩٤٢ لعرضه خبزاً بأزيد من التسعيرة .

ميدان الأوبرا : مصر

دار الـــكتب الأهليـــة

تليفون ٤٩٥٦١

تنزل جهدها المستطاع في سبيل نشر الثقافة والعلم لجميع أنحاء الأقطار العربية بما تقدمه من أحدث المطبوعات وأنفس الكتب

مؤلفات الدكتور طه حسين بك

٢٢	على هامش السيرة جزآن
٢٤	الأيام جزآن
٣٠	لحظات »
١٥	الحب الضائع
١٦	مستقبل الثقافة جزآن
١٠	مع أبي العلاء في سجنه
٨	في الصيف
١٥	تجديد ذكرى أبي العلاء

مؤلفات الاستاذ توفيق الحكيم

١٥	من البرج العاجي
١٥	يجاميون
١٥	تحت المصباح الأخضر
١٥	حمار الحكيم
١٥	نشيد الانشاد

مؤلفات الاستاذ العقاد

٢٠	سعد زغلول
١٠	ساره
١٠	رجعة أبي العلاء
١٢	هتلر في الميزان
٥	هدية الكروان

مطربات الاستاذ منيم معده

١٥	سميراميس الكاتبة أرنستا ستار
١٥	المريد ليول بوريجه
١٠	الاستمتاع الكاتبة ريموند ماشار
١٠	نداء القلب » » »

مؤلفات الدكتور زكي مبارك

٤٠	التصوف الاسلامي جزآن
٣٦	ليلى المريضة في العراق ثلاثة أجزاء
٣٠	عبقرية الشريف الرضي جزآن
٢٥	الأشعار والأحاديث
١٥	ملامح المجتمع العراقي

مؤلفات الانسة بسيمة زكي

١٠	صناعة الفطائر الحديثة
١٨	المنزل الحديث
١٨	الرياضة والصحة والجمال
١٨	الطبخ العالمي
٢٥	الصناعات المنزلية

مؤلفات الاستاذ محمود كامل المحامي

٥	عيون مصرية
٥	صيحات جديدة
٨	الرجال منافقون
٥	حياة الظلام
٧	زوبعة تحت جمجمة

كتب متنوعة

٨	سوء تفاهم للأستاذ بشر فارس
١٠	تحرير المرأة لقاسم أمين
١٥	خالد بن الوليد الشيخ أبو زيد شلبي
١٠	صور إسلامية جزآن للشهدي
١٠	هكذا أغنى للأستاذ محمود حسن اسماعيل
١٥	تاريخ الطيران الطيار علي محبوب
٥	صور جديدة من الأدب العربي الكيلاني
٢٠	الوراثة وتحسين النسل للايبارى
٥	قصة الجوع للعرابي
٥	الضحايا حبيب جاماتي
٥	الأجنحة الكسيرة أسعد دافر
٥	بعد العاصفة » »
٥	فندق الدانوب محمود البدوي
٢	رجل محمود البدوي
٢	الرحيل » »
٢	اتجاهات العصر الجديد للنجوري
٥	العظماء لبلوطرخوس
٥	زعامة الشعر الجاهلي
٣	بولين لأبي بكر المنفلوطي
٥	رسائل الوطواط جزآن
٢	الصدى الحزين شفيق سكر
٥	أسرار الثنائيين
٥	تاريخ الخلفاء الراشدين
٥	الانسان والدنيا
٥	الروائع العطرية
٣	السعادة الزوجية
٥	الميراث في الشريعة الاسلامية
١٠	التعاون للأستاذ أحمد لاشين
٦٠	الخلق الكامل لجاد المولى بك أربعة أجزاء
٥	أثر القرآن في تحرير الفكر البشري لعبد العزيز جاويش
٥	فن القراءة والالقاء والكلام للدمياطي بك
٥	أدب الدنيا والدين للماوردي
١٥	مجمع الآثار العربية الرحالة ابراهيم عيسى المصري
٥	تاريخ حرب فرنسا وألمانيا لطرابلسي
١٥	رحلات للأستاذ عبد الوهاب عزام
١٥	مشاهدات سائح في دول الشمال لعزيز خانكي
٥	هزى الثامن لعبد الرحمن فهمي
١٥	خيوط العنكبوت للمازني
١٠	مفتاح كتاب الحياة المعروف بكتاب الأموات
٣٠	ديوان بيرم التونسي
٢٥	الزنا والزواج للأستاذ محمد موسى
٥	فاروق الأول للأستاذ اسماعيل عصمت
١٠	الملك فيصل بقلم كريم ثابت

يضاف ٣٠ ٪ مصاريف إرسال

الدار مصنع تجليد يقدم أرق الأنواع وأفخم الخامات بأسعار معتدلة — الدار تشترى جميع الكتب

جميع المراسلات ترسل باسم مديرها : رشدي خليل